

العولمة من الهيمنة إلى الكونية
Globalization between hegemony and universality

حمادي هوارى¹.

¹ جامعة مصطفى اسطمبولي (معسكر)

houari.hammadi@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/05 تاريخ القبول: 2025/06/16 تاريخ النشر: 2025/09/01

ملخص:

الهدف من البحث في إشكالية العولمة بين مفهومي الهيمنة والكونية، هو بيان أن العولمة قد تكون سلبية حسب افرازاتها والتي محورها هيمنة الأقوى على الضعيف سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، وقد تكون إيجابية حسب ما تحيل إليه من مصطلح التقارب والتعايش والحوار بين الشعوب، بالتالي لا مفر من الاستثمار في معنى الكونية التي تشير إليه ودراسته دراسة علمية وهادفة عن العلوم الإنسانية والاجتماعية وعلى رأسها الفلسفة لتجاوز نتائجها السلبية. من نتائج البحث، وصلنا إلى أن العولمة لا تشير إلى معنى الهيمنة كما هو متداول، بل قد تكون غايتها الكونية الهادفة في إطار مفاهيم السلم والتسامح والعيش المشترك، ويستطيع كل من الدين والفلسفة نقل العولمة من معناها السلبي القائم على الهيمنة إلى معناها الايجابي المؤسس على الكونية التي تعتبر غاية مختلف المعتقدات ودعاة الحوار بين الثقافات والحضارات من أجل تجاوز مختلف تحديات الراهن .

كلمات مفتاحية: العولمة، الهيمنة، الكونية، الحوار، التسامح.

Abstract:

From the results of the research, we reached the conclusion that globalization does not refer to the meaning of hegemony as it is commonly known, but rather its purposeful universal goal may be within the framework of the concepts of peace, tolerance and coexistence. Both religion and philosophy can transfer globalization from its negative meaning based on hegemony to its positive meaning based on universality, which is considered the goal of various beliefs and advocates of dialogue between cultures and civilizations in order to overcome various challenges of the present.

Keywords: globalization, hegemony, universality , dialogue , tolerance.

1. مقدمة

في الفترة المعاصرة، في ظل العولمة، برزت تغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ترتب عنها وحدة العالم واعتباره قرية صغيرة بإزالة الحدود ووحدة الممارسات في مختلف الميادين، إضافة إلى تداخل الشعوب والحضارات مع بعضها البعض لحد يصعب التمييز فيما بينها داخل القطر الواحد. فقد ترتبت عن العولمة تغيرات وتجليات أهمها: عالمية الثقافة وتراجع الثقافة القطرية والمحلية، سيادة النظام الديموقراطي في العالم وتراجع الأنظمة الاستبدادية، تبلور فكرة الحرية في مختلف الممارسات الاجتماعية والميادين الثقافية، هيمنة النظام الرأسمالي في الاقتصاد... هذه التطورات والتغيرات أفرزت جملة من التحديات، قد تظهر في شقين :

الأول تمثل في هيمنة ثقافة وحضارة الأقوى، وما ترتب عنها من إفرزات كالتفاوت بين الشعوب، انتشار الإمبريالية، انتصار المادي على الروحي، صدام الحضارات والثقافات، صراع الهويات وحروب المعتقدات، هيمنة التكنولوجيا وطغيان الآلة، انتشار التلوث... والتي غايتها الكبرى سيطرة القوى على الضعيف.

الثاني تمثل في انتشار ثقافة كونية وإن بدت وجها من وجوه الهيمنة لثقافة الأقوى، إلا أنها رغم ذلك تحمل أبعادا أخرى، يمكن التأسيس لها بالعودة إلى فهم خاص للكونية في إطار أفكار أخرى تسعى إلى تكريس مبادئ الإنسان الكوني، والتأسيس لسياسات وثقافات تخدم الإنسان في مفهومه العام بعيد عن الهويات والثقافات المغلقة والمتصارعة، عن طريق ارساء قيم كونية تؤسس للحوار والتسامح واحترام الآخر بغض النظر عن لونه وجنسه ودينه...

في هذه الورقة أردنا أن نفهم ظاهرة العولمة بين الهيمنة والكونية أي بين الإفرزات أو النتائج السلبية والأبعاد التي تؤسس بها الإنسان الكوني الذي يمكن اعتباره من ايجابيات العولمة و غاية الشرائع والفلسفات. وذلك بالاعتماد على طرح فلسفي تحليلي، أردنا أن نقرأ من خلاله موضوع بحثنا حسب الإشكال التالي: كيف يستطيع كل من الدين والفلسفة نقل العولمة من مفهومها السلبي القائم على الهيمنة إلى مفهومها الايجابي المؤسس على الكونية التي تعتبر غاية الدين والفلسفة؟

1-- مفهوم العولمة Globalisation :

من الصعب ايجاد معنا دقيقا للعولمة، لأن مختلف التعريفات تربطها بمفاهيم: الهيمنة والسيطرة والكونية والأمركة وثقافة الأقوى، وطغيان المادة، والنظام العالمي الجديد... نتيجة لإفرازاتها المختلفة، ويمكن أن نعرفها كما يلي:

في اللغة ترتبط بكلمة انجليزية Globalizathion المشتقة من كلمة globe التي تعني الكرة ويقصد بها الكوكبة بمعنى الاندماج في نمط ونظام سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي واحد (الخلايلة المعتصم بالله، 2018 ، ص251) أبعاد العولمة على الهوية العربية في عصر الأحادية القطبية ، في الاصطلاح لا يوجد اتفاق على مفهومها حيث تتعدد مدلولاتها، منها: الهيمنة والمركزية الأوروبية سيادة نظام سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي واحد في العالم يقوم على الديمقراطية والراسمالية وثقافة الأقوى... وهي حسب طه عبد الرحمن تعني: " تعقيل العالم بما يجعله يتحول إلى مجال واحد من العلاقات بين المجتمعات والأفراد عن طريق تحقيق سيطرات ثلاث: 'سيطرة الاقتصاد في حقل التنمية' وسيطرة التقنية في حقل العلم' وسيطرة الشبكة في حقل الاتصال' (طه عبد الرحمن، 2007، ص 78).

كما تعرف العولمة حسب الموقف منها بين الرفض والقبول، إذ هي عند دعاة العولمة والنظام العالمي الجديد New World Order تعبر عن "نظام رشيد يضم العالم بأسره الذي أصبح قرية صغيرة ازدادت صغرا مع الإنترنت والهاتف المحمول والفضائيات، مما يضمن تدفق رؤوس الأموال والسلع والمعلومات، وفتح الحدود بين الدول" (المسيري عبد الوهاب، 2009، ص 293) فهي حسب أنصارها تعتبر النظام الأمثل لخدمة الإنسان في مفهومه العالمي، بينما يرى آخرون أنها عبارة عن نظام فاسد يحمل طابعا ماديا ويعبر عن سيطرة القوي على الضعيف، ففي نظربعض الناقدين لها هي رؤية اقتصادية ومادية للعالم والإنسان تهمل الأبعاد الروحية والمعنوية لهما لأنها تجعل من العالم كله مادة استعمالية، والبشر مجرد كائنات وظيفية أحادية البعد متغاضية عن الاختلافات بينهم. (المسيري عبد الوهاب، 2009، ص 293) .

إضافة إلى ما سبق يقرن "عبد الوهاب المسيري" Abdel Wahab Elmessiri تعريف العولمة بتعريف الحداثة من جهة وبتعريف العلمانية من جهة أخرى، لدرجة يصعب الفصل بين المفاهيم الثلاثة، في هذا الصدد يعرف الحداثة بأنها: ظاهرة غربية انطلقت مع الثورة الفرنسية عام 1789م واستطاعت أن تحدث التغيير في النظام السياسي من النظام الملكي إلى النظام الديمقراطي الذي يقوم على سلطة الشعب والمجالس الممثلة للشعب، واعتماد اللبرالية نظاما اقتصاديا

والمساواة بين الجنسين على الصعيد الاجتماعي وإلزامية تعليم الأطفال والانتقال من نموذج الجماعات والطوائف الدينية المتحاربة إلى المواطن لا ابن الطائفة أو الدين وتذوب بذلك الطوائف والأديان في بوتقة مدنية علمانية واحدة لا تميز فيها على أساس عرقي أو ديني" (عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، 2003، ص 349) ندرك من خلال هذا التعريف تقاطع وتداخل ثلاثة مفاهيم الحداثة، العولمة، العلمانية: فالحداثة هنا ظاهرة غربية تمثل: سيادة نظام سياسي واحد متمثل في الديموقراطية بعد سقوط الأنظمة الديكتاتورية وتراجع الأنظمة الملكية ونظام اقتصادي واحد وهو الرأسمالية بعد سقوط النظام الاقتصادي الاشتراكي... وهذا التعريف نفسه هو التعريف الذي يمكن أن يطلق على العولمة، كما أن الحداثة باعتبارها السعي إلى تأسيس حقوق الإنسان العالمي خارج الطائفة والجنس واللون والدين والتي تنتهي إلى ذوبان الأديان في مدنية أو كونية واحدة هي ما تؤسس للعلمانية، هذه الأخيرة بدورها قد تفهم من عدة زوايا وتطرح من الزوايا السلبية في الغالبية لكنها عندما تطرح في سياق الكونية قد تعبر عن مفهوم جديد لأنها بدورها قد ينظر إليها من عدة زوايا تجمع بين النظرة السلبية التي تعتبرها احتقارا للدين وفصلا له عن مختلف الممارسات، والنظرة الأخرى التي تعتبرها بحثا موضوعيا وعلميا في الدين في إطار الاستمولوجي وبعيدا عن الأيديولوجيا، وبالتالي تتشابه المفاهيم في موضوعنا إلى أن همنا الأكبر هو بيان أن العولمة عملة ذات وجهين سلبي يمثل الهيمنة، وإيجابي يمكن أن نلمسه في الكونية التي نتوخى طرحها في إطار التعايش بين الحضارات.

عندما نريد ضبط مفهوم العولمة في إطار التحديات الجديدة، نستعين بأحد التعريفات

والذي يجعل "العولمة أشبه بمنشور زجاجي تنعكس فيه الخلافات الكبرى المتعلقة بالحالة

الإنسانية الجمعية، فقضايا الرأسمالية وعدم المساواة والطاقة والتنمية والبيئة والثقافة والنوع

والهوية والكثافة السكانية، عادت كلها في صورة شكلتها العولمة، إن العولمة ككلمة رمزية تثير

الجدل، فهي تتخطى حدود السياسة والمال، والإعلام والحركات الاجتماعية، والاهتمام العام

والأكاديمي. والعولمة بوصفها تحديا سياسيا تتخطى الطيف الإيديولوجي وتنخرط في الحركات

الاجتماعية على كافة المستويات. وتنطوي العولمة على نقلة نوعية من مرحلة الدولة-الأمة

والسياسات الدولية إلى سياسة النطاق الكوكبي" (جون نيدرفين بترس، 2015 ص 23).

أي أنها تفضي إلى وحدة الممارسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

فالعولمة هي ظاهرة جديدة تطمح إلى توحيد الممارسات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية في العالم، والتي ترتب عنها تحديات جديدة تدور في مصطلحين: الهيمنة والكونية، هيمنة نظام الأقوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي وما ترتب عنه من إفرزات تتعلق بمشكلة الحرية والهوية والطبقية... وغير ذلك من الإفرزات الجديدة المتعلقة بالبيئة والغزو الثقافي وصدام الحضارات أما الكونية فهي وجه آخر نتوخى كشف النقاب عن وجهه الإيجابي حتى لا يدور في فلك الهيمنة والسيطرة.

2-العولمة و الهيمنة Domination :

في عصر العولمة ظهرت جملة من التحديات في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تمثلت في سيطرة الأقوى وخضوع الضعفاء له ولنموذجه الحضاري، نلخصها في مصطلح الهيمنة الذي يعبر عن أخطر إفرزات العولمة والتي تظهر في النقاط التالية: -الهيمنة الثقافية والاستغراب: أسست العولمة لثقافة عالمية كونية وهي الثقافة الغربية، وهو "إدعاء روجه الغرب لنشر ثقافته خارج حدوده وتغريب كل الشعوب بما فيها شعوبنا. وهو ما سماه معاصرونا 'الاستغراب' أي سيطرة الغرب بمفاهيمه ومدارسه ولغته على ثقافتنا ورؤيتنا لتراثنا ، وإحساس منا بالنقص تجاه الغير، وإدعاء الحداثة والمعاصرة" (حنفي حسن، 2009، ص 102) فنحن نعيش في عصر العولمة ما سمي بالاستغراب وهو نموذج للهيمنة الغربية بمفاهيمها ومناهجها وحتى مضامينها وأفكارها.

-هيمنة المركزية الأوروبية European Centralization في الفكر: هي في نظر الكثيرين، لا تختلف عن المركزية الأوروبية التي أسس لها الاستشراق بل هي انتقال لهذه الفكرة من الإمكان والوجود بالقوة إلى التحقق والوجود بالفعل ، مثال: إذا اردنا أن نبحث مسألة الحداثة كإشكال مركزي للفلسفة العربية المعاصرة، نجده يطرح في إطار علاقتها مع التراث والدين خصوصا في مختلف المشاريع الفكرية العربية من مفاهيم غربية محضنة ومناهج غربية خالصة فرضتها ثقافة الأقوى والتطور الحاصل في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية.

-هيمنة حضارة الأقوى و صدام الحضارات Clash of Civilizations : التي تقوم على أن العالم يعيش صراعا ثقافيا وليس اقتصاديا يرجع إلى التمايز الثقافي والهوياتي بين الشعوب بلوره فيما يطلق عليه بصدام الحضارات هذه الفكرة ظهرت على وجه الخصوص عند "هنتنغتون" وارتبطت بصراع الحضارتين الإسلامية والغربية أو ما يسميه بالخطر الأخضر الذي نظر لحروب دامية في

أفغانستان والعراق وغير ذلك من المناطق الإسلامية، لذلك تقوم هذه النظرية على فلسفة متطرفة ترى أن الإسلام يشكل خطراً على الغرب يجب مواجهته.

- هيمنة هوية الأقوى وحرب الهويات: وتجلت في عصر العولمة في سيطرة هوية واحدة هي هوية الأقوى أي الهوية الغربية، فالهوية كثيراً ما تطرح في مقابل هوية الغرب وفي إطار منطق الصراع والخلاف مع الآخر ولكن الواقع بعد التطور التكنولوجي الناتج عن العولمة وبعد هيمنة الحداثة بشكلها الغربي في جميع أنحاء العالم، نستطيع القول مع -علي حرب- كلنا غربيون كلنا صنيعة الحضارة الغربية أكننا علمانيين متغربين أم فقهاء معتمدين. وإنكار ذلك هو زيف ممارسه في الوجود على حساب وجودنا" (علي حرب، 2005 ص 106)

-هيمنة نموذج حضاري واحد: ظهر في عصر العولمة سيطرة نموذج واحد يسود العالم في إطار ما يعرف بالأمركة، أي انتهى إلى ما يسمى بنهاية التاريخ التي عبرت عن هيمنة نمط حضاري يمثل حسب فوكوياما تلميذ ، الشكل النموذجي والأرقى للحضارة الذي يجب أن يهيمن ويسيطر على العالم، يتجلى في الولايات المتحدة الأمريكية التي تعبر عن اكتمال ونهاية للتاريخ.

-هيمنة خطاب علماني جارف: العولمة جعلت الخطاب الفلسفي الغربي يؤسس للتيار علماني جارف، في مختلف المجتمعات بما فيها العربية الإسلامية فإذا عدنا للمشاكل الفلسفية المعاصرة التي ارتبطت بتأثير تيارات فلسفية كبرى كالمادية والوجودية والعدمية... نجدها أثارت مشاكل ليست بمشاكلنا إلا أنها مشاكل الأقوى التي حتما ستؤثر علينا مثل مخاطر العلم والمادية والشك والعدمية والإلحاد مع أن كل هذه المسائل لا تمثل خطراً علينا في الأصل لأننا نعيش في حضارة تقوم على الدين والنص وأولوية الروح....لكن بفعل العولمة وهيمنة الثقافة الغربية علينا لا يمكن إنكار تأثيرها علينا.

-هيمنة نظام سياسي واحد من انتاج غربي: هو النظام الديمقراطي الذي لا يكون ايجابيا دائما كما يعتقد لأنه ديمقراطية على المقاس، كما "أن الديمقراطية قد تصبح وسيلة لخلق الصراعات والخلافات وخلق إنزلاقات خطيرة من خلال توظيف الانتماءات العرقية والدينية..."(بوالروايح محمد، 2010 ص 139). التي تعري مختلف الاختلالات في العولمة ولاسيما من خلال توظيفاتها الإيديولوجية.

-هيمنة نظام اقتصادي واحد من انتاج غربي دائما: هو الرأسمالية التي انتهت إلى ظهور الطبقة والاعدالة وتفاوت رهيب بين الفقراء والأغنياء وتراكم رؤوس الأموال في يد فئة معينة مارست التسلط والامبرالية في العالم ...، ففي المجال الاقتصادي سعت الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات

المتحدة إلى تسخير العولمة لصالحها من خلال مشروع ساعي لتوحيد في إطار رأسمالية السوق وتفكيك الاقتصاديات الوطنية". (مراد ناصر، د ت، ص78)

-هيمنة المادي على الروحي: بفعل التطور التكنولوجي الرهيب في عصر العولمة هيمن المادي في مختلف الجوانب، فأسس لحضارة الآلة التي غيب فيها الإنسان الذي فقد السعادة وانغمس في اللذة فعاش في الكآبة وفي حضارة استهلاكية تحتاج إلى عودة الدين والفلسفة للحد من النزعة العلمية الصارمة والوضعية الجارفة.

-هيمنة حقوق الأقوى على حقوق الإنسان human rights: بفعل العولمة لم تعد الحقوق تخضع لمجالها التداولي ولم تعد تراعي الخصوصيات والاختلافات بين الشعوب، فقد ظهرت جمعيات عالمية تدافع عن الحقوق المتعلقة بالشواذ والمثليين وظهرت ما تسمى بحقوق الجيل الرابع لحقوق الإنسان وهي نوع جديد من الحقوق الناتج عن التطور العلمي والتكنولوجي في مجال الطب والهندسة الوراثية تتعلق بالإنسان في مفهومه العالمي كالحق في الموت الرحيم والحق في نقل ونزع الأعضاء والحق في تغيير الجنس.

بعد تحليل العولمة كمصطلح يدل على الهيمنة في مختلف المجالات، ندرك أنها تعبر عن واقع مر، واقع سيطرة الأقوى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وثقافيا وهي ذريعة للإمبريالية والتسلط وخضوع القوي للضعيف، لكن لا يمكن الوقوف عند هذا الحد على الرغم من أنه واقع معيش، لأن للعولمة وجه خاص يلتقي مع ما كرست له الكثير من الفلسفات والأديان ألا وهو مصطلح الكونية الذي أسس لتجاوز الحدود بين البشر، ولأسيما تلك لا تتخذ طابعا ماديا واقتصاديا... تلك التي تؤسس لحضارة محورها الإنسان العالمي في إطار الكونية، كونية خاصة تؤسس لها الفلسفة والدين ولأسيما إذا تم فهمهما وعقنتهما لخدمة العالم وتجاوز ما يحمله من صراعات وحروب.

3-العولمة و الكونية Globalism :

لا يفرق بعض الباحثين بين الكونية والعولمة، ونحن نريد النظر إليها هنا كفكرة قبل كل شيء. (ص142. أي أنها "تقوم على الانفتاح بين المجتمعات" (بن كروم الزواوي، 2016) وليس الصراع والصدام فيما بينها، فالكونية التي قد تركز لها العولمة قد تختلف بل وتتضارب أشكالها، ولأسيما بين كونية مادية قد تعتبر استمرارا للهيمنة التي أشرنا إليها سالفا، والتي تبين أن "النظام العولمي يسعى إلى ابتلاع العالم وإلى إعادة بنائه سلعيًا من خلال السعي إلى إيجاد سوق كونية واحدة يجري تبادل السلع فيها وهذا ما سعي بالقرية الكونية الواحدة، ومن ثم وحسب

النظام العولمي لم تعد تتحدث عن أوطان وإنما تتحدث عن أسواق، سوق دبي، سوق هونغ كونغ، سوق ماليزيا، ولم يعد هناك وطن وكلاهما يسعى إلى تفكيك ما تكون حتى الآن" (سببيل محمد وعبد السلام بنعبد العالي، 2007، ص7)، فقد تقوم العولمة على كونية مادية محورها السوق العالمي يغيب فيها الوطن والهويات والخصوصيات ويصبح كل شيء فيها مجرد آداة للاستعمال بما فيهم البشر، وهذا ما يعكسه الواقع، الذي بين وجود حضارة مادية مفرطة لقيت نقدا كبيرا في أوساط مختلفة، ولكن طرق النقد تتعدد وتتنوع فهي لا تقوم على الرفض للعولمة فقط ولأسيما إن كانت ايدولوجية العصر وواقع حتي لا مفر منها، وبالتالي فالوسيلة الأمثل في نظرنا تكمن في اكتشاف الوجه الآخر الإيجابي للعولمة أي الاستثمار في مفهوم الكونية التي تؤسس له والسعي إلى نقله من مجاله المادي إلى مجاله الروحي باعتماد آليات: الدين والفلسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية خصوصا في بناء فهم جديد وفعال للكونية الروحية والإنسانية التي قد تساعد هذه العولمة المادية على التأسيس لها بما توفره من وسائل وتكنولوجيات وميسرات التواصل... في العالم.

إذن العولمة لا تقف عند الكونية المادية كما يعتقد بل يمكن أن تؤسس لكونية أخرى مقابلة يكون محورها: الروح - الإنسان - العقل - القيم... هي ما تنشدتها الديانات والفلسفات في الكثير من الأحيان، وباعتبارها تسعى إلى ربط العالم بالقيم والمبادئ...، نريد في هذا الصدد أن نقدم تصورا جديدا للكونية وهي الوحدة بين البشر وآليات تحقيقها في إطار عالم واحد يسوده التسامح والحوار والتعاون... وعلى رأس تلك الآليات - الفلسفة والدين - يمكن ان نفهم هذه المحطة في النقاط التالية:

-الكونية في المعرفة: يمكن أن نطلق على هذا العنوان تعبيرا آخر ألا وهو العولمة والمعلومة، فأهم ما ترتب عن العولمة والذي يمكن أن يقع في الطرف المقابل للاقتصاد أو السوق تحديدا الذي يجعل منها عولمة مادية كما سلف الذكر، ما يسمى بكونية المعرفة أو مجتمع المعرفة والذي يعني: "توافر مستويات عليا من البحث والتنمية وتكنولوجيا المعلومة والاتصال هو مفهوم يحل مفهوم المجتمع الصناعي وقد برز بعدما شهد العالم ثورة جديدة في المعلوماتية والمعلومة وتكنولوجيا المعلومة،...مجتمع المعرفة هو مجتمع الثورة الرقمية المعرفية التي غيرت من رؤية الأمم إلى العالم، حيث أصبحت المعلومة والمعرفة سمة مميزة لمعنى القوة اليوم"، (بومدين بوزيد، 2009، ص90) فقد أدت العولمة إلى تطور رهيب في مجال المعلومات ذات الطابع العالمي والكوني وفي وسائل المعرفة والاتصال والتواصل التي سهلت نقلها ونشرها في جميع أنحاء المعمورة، حيث جعلت من العالم قرية صغيرة وأصبح الرهان اليوم يقوم على اكتساب المعلومة أو الاندماج معها على الأقل

أي النهل من مشارب المعرفة الكونية من أجل مسامرة العصر والتي قد تصطدم مع الكثير من مقومات الثقافة المحلية وثوابت الهوية كالدين واللغة والتاريخ... ولكن قوة امتلاك أو مسامرة المعلومة هي ما يطلب اليوم لأنها تؤدي وظيفة إيجابية إذا احسنت المجتمعات استخدامها في فهم وقراءة تراثها وثقافتها ... في إطارها الكوني الذي يؤسس للحوار والتسامح وقبول الآخر.

-الكونية والحداثة Modernity : لا نبالغ إن قلنا أن الحداثة تعبر عن مشروع كوني لأننا كلنا نستفيد من منجزاتها في مختلف الميادين، "فنحن نعيش في أجواء الحداثة الغربية . إننا نفيد من منجزاتها وننعم بخيراتها وثمراتها، كما نكتوي بجحيمها ونحصد كوارثها . " (حرب علي، 2005،

ص 106). ولابد من تجاوز تلك النظرة التي تدعوا إلى الانغلاق والتعصب، وتلك النظرة التي تنظر إلى الحداثة من خلال ثنائية الذات والغير أو الأنا والآخر لكي نرى إليها من منظور فلسفي بوصفها حدثا، أي حقيقة، تتعلق بكينونة كل واحد يعيش على سطح هذا الكوكب في أيامنا هذه،

باعتبار أن الغرب معضلتنا وأزمتنا التي نعيش عليها وبها(حرب علي، 2005، ص 106).

-الكونية في الدين: يعتبر الدين أكبر مؤسس للكونية عن طريق دعوته للوحدة بين البشر، فهو يلتقي مع فكرة العالم الواحد، لأن جوهر الدين وروحه أن يوحد ولا يفرق، والدين الإسلامي هو دين التوحيد بإطلاق: التوحيد على مستوى العقيدة -إله واحد-، والتوحيد على مستوى المجتمع -أمة واحدة- والتوحيد على مستوى فهم الدين وممارسته: "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء" (الجابري محمد عابدص 117)، وبالتالي يمكن أن يساهم بشكل كبير في تهذيب العلاقات بين البشر في عصر العولمة ولاسيما إن كان يدعو لها في مختلف الشرائع والمعتقدات إذا تم فهمه كمنظم إلهي لحياة البشر جميعا دون استثناء.

-الكونية في الفلسفة: الفلسفة بدورها تبحث في الحقائق الكلية والمطلق وفي الإنسان العالمي، وبالتالي يمكن أن نعتمد عليهما في ظل العولمة أكثر من أي وقت مضى في ظل الوحدة بين البشر، حيث سعى الفلاسفة على مر التاريخ إلى التأسيس للكونية منذ القول بالماهيات مع اليونان وبالنواميس العامة المنظمة للكون، في هذا الصدد "يتساءل ريكور عن المعيار المشترك للفضيلة التي طرحها أرسطو وهي التوسط أو الحد الأوسط، ألم يكن يسعى للكونية؟ وهنا يضاف التساؤل حول ريكور أيضا ألم يقتفي ريكور أيضا الكونية حين جعل موضوع تقدير الذات مثل أخذ المبادرة في العمل" (بومدين بوزيد وآخرون، 2009، ص 64) أي أن كل من أرسطو وريكور يؤسسان معنى كليا من شأنه أن يكون معيار للقيم أو الحقائق... وغير ذلك مما تطمح إليه الفلسفة التي قد تلتقي

مع العولمة حين تجد وحدة بين البشر من السهل عليها أن تتسلمهم المعاني الكلية والمشاركة في مختلف الميادين .

-الكونية في التقارب بين الأديان : وتمثل التكامل والتقارب بين الأديان لأن أهم عمل تؤسس له الفلسفة في ظل العولمة في إطار الدين هو فكرة التكامل بين الأديان، فإذا عدنا إلى فلسفة غارودي في هذا الصدد نجد أن هاجسها المحوري هو البحث عن التكامل أو التقارب بين الأديان، فإذا بحثنا عن معنى الإسلام كأخر الديانات السماوية نجده يعني حسب "غارودي" "التوكل الإرادي والحر على الإله الواحد الأحد، وذلك هو القاسم المشترك بين الأديان المنزلة: يهودية أو مسيحية أو إسلام، منذ أن سوى الله بالإنسان، "ونفخ فيه من روحه" (س 15،، 29) أي منذ الإنسان الأول والقرآن يحدد الإسلام على النحو الأكثر وضوحاً. (روجي غارودي، 2001، ص 19).

-الكونية في قراءة الدين: ويقوم على فهم نقاط التقارب واللقاء بين الأديان كما يظهر في الدين المقارن، في هذا الصدد يمكن أن نستحضر مشروع حسن حنفي الذي ينطلق من علم أصول الفقه المقارن إلى علم أصول الفقه المطلق، فلا بد للفلسفة في نظر حنفي أن نتسعى إلى تأسيس علم أصول الفقه المقارن الذي " يهدف إلى التعرف على ما هو خاص داخل علم الأصول في كل حضارة وما يتميز به عن غيره من العلوم المتشابهة في الحضارات الأخرى...وبعد ذلك ربما يمكن تأسيس "علم أصول الفقه المطلق" الذي يجمع بين ما هو مشترك وعام بين علم أصول الفقه في الحضارات المختلفة في الشرق والغرب" (حسن حنفي، 2005، ص 577). وذلك من أجل ترسيخ التعايش بين الديانات بدل الصدام عن طريق علم أصول الفقه المطلق الذي يجمع بين التاريخ واللغة والفعل وبين النظري والعملي وبين الماضي والحاضر والمستقبل وبين الرسالة والمرسل إليه ويتوجه الجميع نحو الفعل حسب حنفي.

الكونية في الثقافة والحضارة: "بما أن العولمة أصبحت إيديولوجية العصر، فإن الحضارة الجديدة ستصبح حتما إيديولوجية الألفية الثالثة بشرط أن تتجنب الإنسانية أشكال الصراع والفوضى التي تؤدي إلى الخراب والدمار"، (عمراني عبد المجيد، 2008، ص 155) إذن فالعولمة لابد أن تستغل في التأسيس لحضارة جديدة تقوم على الكونية بعيدا عن صراع البشر مع بعضهم البعض، ولكن لا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بالعودة إلى كل من الدين من خلال مفهوم الأمة والفلسفة من خلال مفهوم الوجود ولاسيما في التأسيس لفكرة الحوار بين الثقافات والشعوب فكلاهما يؤسسان لحضارة واحدة مفهومها الإنسان خليفة الله في الأرض بغض النظر عن جنسه ولونه وخصائصه...والإنسان مركز الكون في إطاره يفهم الكل متى تم قراءتهما قراءة جديدة كما أسلفنا ذكره.

الكونية في المجتمع والاقتصاد: تقوم على محاربة التفاوت الطبقي المترتب عن العولمة التي أدت إلى ظهور عالم متفوق يسمى عالم الشمال أحيانا والغرب أحيانا أخرى في مقابل الشرق وعالم الجنوب اللذان يعبران عن العالم المتخلف، فلا بد من التأسيس لاقتصاد كوني يقوم على التوزيع العادل للثروات في الأرض، بفهم مختلف مقومات الاقتصاد العادل بما فيها الدين حسب بعده الاجتماعي .

الكونية في مواجهة الأخطار المشتركة: نتيجة لتطور وسائل الاتصال وقنوات الحوار ووسائل الإعلام والوسائط... في ظل العولمة من الضروري توعية الإنسان بمواجهة الخطر المشترك... "خطر التلوث والإبادة النووية وخطر الارهاب ... وذلك بالفهم العام للأخطار المشتركة ولاسيما باعتماد الطرح العلمي والموضوعي لها بالاستعانة بكل من العلم والفلسفة والدين.

4-فلسفة الدين والعولمة:

إن المقاربة التحليلية التي اعتمدنا عليها من شأنها أن تؤسس لطرح خاص للعولمة يتجاوز سلبياتها ليجعلها تؤسس للكونية وتنتهي إلى الحضارة الخادمة للإنسان العالمي وليست المؤرقة له، والتي تتعدد زوايا التنظير والتأسيس لها، ومنها ذلك الطرح الذي يجمع بين الرؤية الفلسفية والدينية لمختلف المسائل بما فيما مسألة العولمة.

نحن نريد أن نؤسس لها في مقالنا من خلال تحليل فلسفي يركز على فلسفة الدين خصوصا ، لأنها ترتبط بما "يترقبه الإنسان من الدين، وما يترقبه الدين من الإنسان، طبيعة المعرفة الدينية، التجربة الدينية، لغة الدين، تعدد القراءات، التعددية الدينية... كلها وغيرها مباحث تدرس في (المرزوقي أبو يعرب 2006، ص 41). أي أن فلسفة الدين من شأنها أن فلسفة الدين". تقدم مساهمة فعالة لمختلف العلماء ن شأن الفاعلين في مختلف الميادين وعلى رأسها السياسة والاقتصاد والثقافة... رؤى جديدة ووردية للعولمة، وذلك لأنها "فرع من فروع البحث الفلسفي الذي يهتم بقضايا الدين أي أن موضوعها الدين وآلياتها في فهمه متنوعة أي هي لا تكتفي بالتدبر والتأمل القائم على الفلسفة بمفردها بل ذلك التأمل الذي تتعدد أدواته المنهجية مثل: مكاسب علم النفس والأنثروبولوجيا ومناهج التأويل والسميولوجيا والتفكيك" (هوارى حمادي 2019 ، 164). للعولمة إفرازات باعتبارها ايدولوجية العصر يمكن مواجهتها بالاهتمام بالعلوم الإنسانية والاجتماعية وعلى رأسها الفلسفة والدين باحياء الطبع الروحي وربطها بقيم التسامح والحوار والتعايش ومواجهة الخطر المشترك. التي تلعب فلسفة الدين نصيبا كبيرا في التأسيس لها.

إذن رغم التحديات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المترتبة عن العولمة إلا أنها يمكن أن تؤسس لحضارة زاهرة ومتطورة محورها الإنسان، يتحقق في نظر الكثير من الفلاسفة ورجال الدين عن طريق تجنب أشكال الصراع والفوضى والتوزيع العادل للثروات واحترام الهويات والأقليات... وأساس ذلك حوار الحضارات بحيث "سيصبح حوار الحضارات من العوامل التقدمية والتغيرية في المجتمعات البشرية لأنه يدعو إلى التعارف بين الشعوب، وبناء الثقافات المتنوعة ويدعوا إلى العالمية"، (عمراني عبد المجيد 2008 ص 155). وهناك عدة مجهودات في هذا الصدد يقوم بها غارودي وتندرج في سياق العلاقة بين الفلسفة والدين والعولمة تقوم على قراءة فلسفية خاصة للدين وبالتحديد الإسلام تقوم على فهمه في إطار التعايش والحوار بين الأديان، فمن خلال الفلسفة يمكن أن نفهم الإسلام في إطار دوره في التعايش بين الثقافات "أي في بعده ذي النزعة الكلية التي لا يقتصر على هذا التقليد أو ذاك من تقاليد الشرق الأدنى وماضيه بل ينفتح على الثقافات كلها ويجدد التعايش الغني بين الشرق والغرب، بين الأديان المنزلة المسيحية والإسلام واليهودية وحكم الفرس والهند والصين في الماضي السحيق." (روجيه غارودي، ص 150) وبالتالي مشروع الحوار بين الأديان والحضارات من شأنه أن يقلل من أنماط الصراع المختلفة فيما بينها باعتماد رؤى فلسفية وعقلانية للعولمة على رأسها الرؤية التي تؤسس لها فلسفة الدين التي تفهمه في شكله الموضوعي والعالمي الذي من شأنه أن يفهم أقوى محرك للحروب بين البشر ألا وهو الدين لجعله أقوى موحد فيما بينهم والذي نحن في أشد الحاجة له في عصر العولمة التي قد تلتقي مع هذه الوحدة التي يدعوا إليها كل من الدين والفلسفة بين البشر وتعززها حين توفر لها وسائل الفهم والتجسيد في الوقت نفسه.

في آخر بحثنا ونحن نتحدث عن العولمة بين الرفض والقبول وحسب علاقتها بالدين في هذا العنصر، نصل إلى أن "العولمة وبما أفرزته من أدوات، تعبر عن خطورة وإمكانية، والمخاطر لا بد أن يحسب لها حسابها، والإمكانات لا بد من استثمارها" (سيف الدين عبد الفتاح 2009، ص 39) وهذا الحكم يحمل علاقة وثيقة مع العالم العربي الإسلامي، الذي عرف جدالا واسعا حول العولمة بين الذم والمدح، إلا أنه لا مناص لنا من مساهمة العولمة واستثمار الكونية التي تدعوا إليها نحو فهم جديد يقوم على حوار الأديان والتعايش بين الثقافات وخدمة الإنسان العالمي الذي أراده الله خليفة في الأرض.

خاتمة:

من خلال هذا التحليل لإشكالية للعملة بين مفهومي الهيمنة والكونية، نصل إلى أن العملة تثير عدة مدلولات تصل إلى حد التعارض كما يظهر في المفهومين المطروحين في الموضوع، لكن هذا لا يعني الانفصال بينهما بحيث يستطيع كل من الدين والفلسفة نقلها من معناها السلبي القائم على الهيمنة إلى معناها الايجابي المؤسس على الكونية التي تعتبر غاية الدين والفلسفة، أو تغيير مدلولها من مفهومها المادي القائم على هيمنة الاقتصاد والسوق إلى مفهومها الروحي القائم على نمط ثقافي كوني يقوم على الحوار والتسامح والعيش مع الآخرين، ومن أهم نتائج بحثنا ما يلي:

-العملة في الواقع ، تفيد معنى الهيمنة أي هيمنة نمط غربي في مختلف الميادين: السياسي – الديوقراطية-، الاقتصادي –الرأسمالية-، الثقافي –ثقافة الغرب ... عبر عن نموذج حضاري واحد فرض سيطرته على العالم في مختلف الميادين انتهى إلى الامبريالية.

-العملة في الفكري في تصورنا الفلسفي تعبر عن معنى الكونية لأنها تدل على نمط كوني للحضارة والحداثة حققه الإنسان في الفترة المعاصرة، وإن كان على مقاس الحضارة الغربية فإنه يلتقي مع الكونية التي تنشدها الديانات والفلسفات لخدمة الإنسان العالمي، وبالتالي يمكن التأسيس لطرح جديد للعملة، يتجاوز الهيمنة إلى الكونية التي تمثل نظاما عاما واحدا في الكون محوره الإنسان في مفهومه العالمي بعيدا عن مفهومه الفردي والقطري.

-الديانات والفلسفات لا تتعارض مع منطق العملة الذي يؤسس للكونية وإزالة الحدود بين الدول، لكن تعارض فقط مجالها المادي القائم على إغفال الجانب الروحي والقيمي وبالتالي من شأنها أن تهذبها وتجعلها أكثر فعالية في مواجهة تحديات العصر ولاسيما أنها ايدولوجيته التي لا مفر منها.

-لابد من الاستعانة بالفهم الكوني للدين والفلسفات والاستعانة بأدوات جديدة للبحث والتنظير لذلك أهمها آليات العلوم الإنسانية والاجتماعية في فهم النصوص وفق مبادئ الحوار والسلم والتسامح والعيش معا من أجل الترسخ للكونية، لعل أهمها فلسفة الدين التي تعبر عن نمط جديد من البحث الفلسفي يقوم على عقلنة الدين وبحثه في إطار الكوني والشامل القائم على الحوار والتسامح وخدمة الإنسان في مفهومه العالمي...الذي تكون العملة الأرضية الأنسب لتجسيده ولاسيما إن استعان الدارسون لها بمختلف الأدوات التي تقدمها العلوم الإنسانية والاجتماعية وعلى رأسها الفلسفة وبالتحديد فلسفة الدين.

قائمة المصادر والمراجع:

- الجابري محمد عابد، (1996) *الدين والدولة وتطبيق الشريعة*، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 بيروت لبنان.
- الخلايلة المعتصم بالله، (2018)، *أبعاد العولمة على الهوية العربية في عصر الأحادية القطبية*، التراث، المجلد7، العدد5.
- المسيري عبد الوهاب، (2009) *العلمانية والحداثة والعولمة*، ط1 دار الفكر دمشق سوريا.
- المسيري عبد الوهاب وفتحي التريكي، (2003) *الحداثة وما بعد الحداثة*، ط1، دار الفكر دمشق سوريا.
- المرزوقي أبو يعرب، (2006). *فلسفة الدين من منظور الفكر الإسلامي*، ط1- دار الهادي للطباعة والنشر بيروت لبنان.
- بن كروم الزواوي، (2016) *العالم العربي ومشكل العولمة*، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران 2، العدد 6.
- بوالروايح محمد، (2010). *نظريات حوار وصدام الحضارات*، ط1، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة الجزائر.
- بومدين بوزيد، (2009). *التراث ومجتمعات المعرفة*، ط1، منشورات الاختلاف الجزائر.
- جون نيدرفين بترس، (2015) *العولمة والثقافة-المزيج الكوني-*، تر: خالد كسروي، المركز القومي للترجمة..
- حمادي هواري، (2019) *الدين من الفلسفات الدينية إلى فلسفة الدين*، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران 2، العدد 9/ ..
- حنفي حسن، (2009) *حوار الأجيال*، المكتب المصري للمطبوعات، ط1 القاهرة مصر
- حسن حنفي، (2005) *من النص إلى الواقع*، ج2، بنية النص، مركز الكتاب للنشر، ط1، القاهرة، مصر.
- حرب علي، *الممنوع والممتنع*، (2005) المركز الثقافي العربي، ط4 بيروت لبنان .
- سبيلا محمد وعبد السلام بنعبد العالي (2007) *ما بعد الحداثة تجلياتها وانتقاداتها*، ط1 دار توبقال للنشر المغرب.
- سيف الدين عبد الفتاح، (2009) *العولمة والإسلام رؤيتان للعالم*، دار الفكر ط1 دمشق، سوريا.
- روحي غارودي، (2001) *الإسلام*، تر: وجيه أسعد، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط2. دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع -الجزائر.